Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرحلات تأكيداً للمنفى وبناء له، وحيث النص هو غياب العودة وعدم تحققها؟

تلك لغة أخرى بما هي نظر آخر في التجربة الفردية والجمعية، تستدير كثيراً أو قليلاً عن مألوف العودة في أدب النكبة، فيكتب زكريا محمد: إذا خرجت من وطنك فلن تعود إليه أبداً، ففي كل عودة شيء سالب، كل عودة اضطراب وخيبة وفشل. إنها عودة إلى الماضي، لا إلى الوطن فقط. والماضي قد تحطم، لذلك أتت العودة إضراباً وفشلاً. أما حسن خضر الذي يعيدنا إلى البداية مع محمود شقير، لحظة باتت العودة ملموسة، فيكتب: "كنت مؤيداً لاتفاقية أوسلو، وأعترف أن المبررات التي سقتها كانت تدوي في أذني كطبل أجوف، لكنني سمعت ما يشبه طبلي الأجوف في أصوات المعارضة، فاحتميت بمعادلة أن الفلسطيني المعتدل متطرف حكيم، والفلسطيني المتطرف معتدل يائس".

مع اتفاق أوسلو قامت أسماء جديدة، وتبدلت أسماء، وتقادمت أسماء مثل الأسماء القديمة المنسية، وبدا كأن الالتباس سيد الأسماء جميعاً. كذلك التبس وتلبّس اسم العودة باسم الدخول، فهذا فاروق وادي يعمّد بالأخير ما كتب تحت عنوان (مطر لا يشبه مطر). وإذا كان اسم العودة ينطوي على نشدان ما كان، فاسم الدخول يستدير عن هذه الدلالة، يستدير عن الماضي إلى الحاضر على الأقل. وللحاضر شروطه، فهو ليس أثيراً أو جوانياً كالماضي، وقد كتب فاروق وادي: "ها أنت، ودون شروط منك، تستكين لكل شروط الدخول التي ألغت طريقاً مشقوقاً في الذاكرة". لقد قبل الكاتب العائد شروط الدخول -أو رضخ لها- صراحة هنا، أو بالتفاف عبارات حسن خضر ومحمود شقير. وعندما صار للكتابة زمنها، غدا زمن الدخول ماضياً، واشتبك مع زمن القبول ومع زمن الكتابة ومع زمني الذاكرة: زمن ما قبل المنافي، وزمن المنافي. فهل ألغى الدخول حقاً طريقاً مشقوقاً في الذاكرة أم شقّ طرقاً جديدة وداخل بعضها في بعض كالطرق الالتفافية من أجل ربط المستوطنات وتشقيق الجسد الفلسطيني؟.

أظن أن الأزمنة جميعاً تشتبك سوى المستقبل الذي تغفله النصوص، باستثناء نصي مريد البرغوثي وزكريا محمد اللذين يحيلانه على الأبناء. فلنمض إذن مع الكتابة العائدة، حيث التعلّة الوحيدة هي الذاكرة، والشهادة، فالعودة أو الرحلة هي إلى الماضي والحاضر، الدخول هو في الماضي والحاضر. وبذا تتوالد وتتناقض الدلالات. فالدخول يستبطن نقيضه: النفي الطوعي أو القسري. أما اسم العودة فيستبطن نقيضه، أي الخروج، ويستبطن المؤقت- كالزيارة. وقد يكون الدخول محدوداً لأجل، يتلوه النفي الطوعي أو القسري. أما اسم العودة